ولأن الليبرالية تركز على الجوانب المتعلقة بالعلاقات الإقتصادية لأنها أكثر دعماً للتعاون الدولي من باقي المجالات الأخرى (الجوانب العسكرية والأمنية)

ولأن الجوانب الإقتصادية هي الأكثر هيمنة على مجريات العلاقات الدولية، نجد أن الليبرالية كانت الأكثر إهتماماً من المدرسة الواقعية بالتعاون الدولي.

بالنسبة لليبرالية التي لها عدة فقارات تعد الأكثر من بين الفقارات النظرية التي إهتمت وأولت إهتماماً بالتعاون الدولي.

فحسب فقارة "الإستقرار الهيمني" التعاون الدولي مرتبط بنيته تتسم بالهيمنة (نظرية القطب الواحد) هذا النظام الذي يدعم ويدفع ضرورة إحترام القوانين الدولية وفكرة تقاسم الموارد الجماعية.

بالنسبة لفقارة الإختيار العقلاني: نرى بأهمية التعاون الدولي وأن الإقتصاد الدولي هو الأكثر دعماً لفكرة التعاون نظراً لوجود مصالح مشتركة، كما أن هذه النظرية تفترض مسبقاً وجود المصالح المشتركة ولا تبحث فيما إذا كانت وجودة أم لا بل تبحث عن الطرق التي من شأنها أن تؤدي بهذه المصالح إلى التعاون.

كما ترى هذه الفقارة بأن تداخل المصالح في العلاقات الدولية وزيادة إعتماد الدول على بعضها البعض سيؤدي ذلك إلى تعزيز حالات السلام وتقليص حالات الصراع واستخدام القوة العسكرية التي تهدد مصالح الدول جميعاً.

ونظراً لأن فكرة التقسيم المتكافل فإن الفاعلين وبحصيلة أكبر منفعة سيتكون من أكثر الميكانزمات دعماً للتعاون بين الدول الدولية، خاصة وأن الإلتزام بالمبادل يتيح أقصى الفوائد ويزيد من سرعة النمو بمساعدة ثورة المعلومات وقنوات الإتصال التي تكرس أكثر من الحقيقات

كما ترى المدرسة الليبرالية (الجديدة) التي ظهرت مع نهاية ١٩٥٠ القرن الماضي أن هناك إمكانية لتطوير أنماط التعاون الدولي لزيادة تحقيق الأمن والمصالح

- المؤسساتية الليبرالية والتعاون الدولي: تعد من أكثر المناسبين للواقعية قبل العقد الحالي التي أسست للعديد من المنطلقات الفكرية، حيث يخص التعاون الدولي على شاكلة نظرية الوظيفة التكاملية سنوات الأربعينات وبدايات الخمسينات، والوظيفية الجديدة حول نظرية التكامل الإقليمي سنوات الخمسينات والستينات، ونظرية إلتماء المتبادل سنوات الستينيات، هذه التصنيع والإسهامات الثلاث رغم بالرغم من قبل الواقعية خاصة حول المنطلقات القائلة بالتعايش والتفاهم في السياسة العالمية، وعلى النقيض أيضاً من الواقعية، وهي الليبرالية[1] إلى القول بأن المؤسسات العالمية لديها القدرة الكافية على مساعدة الدول على التعاون، وهي بهذا عرضت الوجه المحتمل في السياسة العالمية الذي يبشر بإمكانات التعاون الدولي، وقد رؤى أكثر تفاؤلاً حول قدرة المؤسسات الدولية على مساعدة الدول وتقربها نحو التعاون.

ومن ما تلخص افتراضات المدرسة الليبرالية أن الأفراد كما الدول لهم القدرة الكافية لحل المشاكل العالقة من خلال العمل الجماعي وأن التعاون الدولي بين الوحدات الدولية هو أمر لابد منه لأجل تقوية الإستفادة المتبادلة بالإضافة إلى ذلك تركز المدرسة الليبرالية على الفاعلين الآخرين من غير الدول الذين يرتقون الدولة من جهة إلى التعاون كما يمكن التعاون معهم من جهة أخرى ولأن السلام الديمقراطي يدعم بشكل مباشرة فكرة التعاون فقد ركزت عليه هذه المدرسة مركزة على كونه شرطاً أساسياً للتعاون.[2]

زيادة على ذلك فإن المدرسة الليبرالية قد دعمت فكرة إنشاء تشكيلات دولية فعالة قادرة على خدمة المكاسب المشتركة بين الدول وتكون أهم الوسائل الفعالة للدفع نحو التعاون الدولي.[3] (نفس المرجع).

وهي بهذا سعت إلى إنشاء مؤسسات فوق دولية ودولية كالمنظمات والمؤسسات الإقليمية والدولية هي هذه الأخيرة التي ترى فيها الليبرالية ضرورة أن تكون قائمة على الشفافية والديمقراطية اللتان تدعمان ظاهر التعاون بين ظاهر الصراع.

---

1) op. cit.

2) تذكرة مفهوم التعاون الدولي في المدارس الفكرية للعلاقات الدولية ص 58.

أما الواقعيون الجدد أو النيو واقعية فتركز على بنية النظام الدولي الذي يتسم بالفوضى، هذه الأخيرة التي تؤسس بداية التفكير بشأن التعاون الدولي، فالفوضى لدى الواقعيين الجدد هي حالة غياب الحكومة العالمية المركزية التي لا يمكننا أن نضمن الحفاظ على بقاء الوحدات الدولية التي عادة ما تكون هدفاً لأعمال العنف. وعلى هذا الأساس فقد طرح النيوواقعيون الجدد فكرة أن الفوضى الدولية تحول دون تحقيق التعاون الدولي صعوبة سببها عدم إمكانية تنفيذ الاتفاقيات الدولية وحيثما هناك حالة واحدة تلجأ لها الدولة للتعاون وهي حالة الاقتناع بأنها ستحقق مجال أفضل مع التعاون أو أن تكون التكلفة أكثر قطعاً وتهديداً مما كانت عليه أثناء التعاون مع الدول الأخرى (1).

وعليه ترى الواقعية الجديدة أن التعاون الدولي أمراً مستحيلاً وقائماً نظرياً غير أنه وجود مجموعة من المعطيات أظهرت الطبيعة التنافسية وسواد المنطق الأمني في معالجة المسائل العالقة غير أنه لا يلغي التعاون سواءً كان عالمياً أو جزئياً.

ما يحمل على التعاون صعوبة بالنسبة للواقعيين الجدد، هو عاملين أساسيين الأول: إهمال الغش من الأطراف المتعاونة، الثاني: سيئة المكاسب والاهتمام الزائد بها من طرف الوحدات الدولية، فكل طرف سعى جاهداً إلى تحقيق أوسع بالمكاسب أكثر من التعاون في حد ذاته، ولأن الدول دائماً تبقى تهتم بتحقيق أفضل بكثير من المكاسب فإن التعاون سيكون بالتأكيد هدفاً صعباً للتحقيق أو الحفاظ عليه. ويستند الواقعيون في هذا الطرح على نموذج (معضلة السجين).

ثم ما بالنسبة للواقعيين الجدد، أن التعاون لا وجود معينة في ظل حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي تهدد الدول في حالة ما إذا لم تتعاون مستقبلاً، لأن إهمالاً عدم التعاون أسوأ بكثير من اللاتعاون.

- هيمنة بالنسبة للمدرسة الواقعية بصفة عامة حتى وإن أعطت تفسيرات منطقية لظاهرة التعاون الدولي، إلا أنها أضافت الأنفة، وضعت عناصر جديدة للتعاون في العلاقات الدولية من باب الإضافة التي تحدثنا عنها عند استخلاص تفسيرات التعاون الدولي بالإضافة إلى أنها قيدت مسألة التعاون، وحصرتها فقط في تأكيد الدولة على أهدافها البعيدة والآنية رغم تغير العوامل والظروف الدولية

4. المقاربات النظرية المفسرة للتعاون الدولي:

حظي التعاون الدولي كظاهرة في العلاقات الدولية بعناية شديدة من قبل العديد من الدراسات والنظريات، في هذه النقطة سنشير إلى أن التعاون الدولي كظاهرة في العلاقات الدولية لا يمكن تجنبنا الحديث عن النظرية في العلاقات الدولية ذلك أن مجمل نظريات العلاقات الدولية قد تناولت بشكل أو بآخر لتحليل ظاهرة التعاون في العلاقات الدولية إما سواء كان في أزمات الحرب أو أوقات السلام، ولأن التعاون هو أحد الظواهر الدولية ذات الجوانب المتعددة فقد تم تناوله من طرف عديد النظريات التي يمكننا من خلال هذه النقطة من المحاضرة تجميعها وتبسيطها والتي يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أولا: المنظور الواقعي والتعاون الدولي.

- لقد هيمنت النظرية الواقعية على تحليل نظريات العلاقات الدولية خاصة في العقد الأخير من القرن الماضي وما تلاها من الألفية الثانية، بالنسبة للواقعيين فالمفهوم الدولية تتميز من المنافسة والصراع بين الدول وتحدين استخدام أو اللجوء إلى التعاون الدولي حتى عندما تتقاطع وتتبادل المصالح المشتركة، بالنسبة أيضا لهذه النظرية فإن المؤسسات الدولية غير قادرة على التخفيف من آثار الفوضى الدولية التي تقيد التعاون ما بين الدول كما تعرض الواقعية الجانب التشاؤمي للتحليل الذي القائل بضبابية مشهد التعاون الدولي، وقدرات المؤسسات الدولية.(1)

- وكما لا يخفى على أحد فإن النظرية الواقعية تجمع تيارا فكريا (النقديون) والجدد قد حاولت التكيف مع المستجدات الدولية، غير أن المنطلقات الفكرية تبقى ثابتة في تفسير حركية العلاقات الدولية، فالواقعيون النقديون يرون بأن ~~الفشل~~ الدول كالسابق تماما تشكل بنية فوضوية في السيطرة على باقي الدول، وهو ما يؤدي دائما إلى إحداث الصدام والحروب التي تقلص ~~تقلص~~ التعاون فيما بين الدول أقل احتمالا.(2)

---

1) Joseph M. Grieco. Anarchy and the limité of cooperation: a realist critique of the newest liberal Institutionalist, International organisation Vol. 42 n03 (summer, 1988) pp. 485-507

في اطار تفسير العلاقات شمال جنوب ظهر المنظور الإشتراكي بشكل أكثر قوة لتحليل هذه العلاقة التي وصفها بكونها علاقات "تبعية" التي يدأت من خلال سيطرة قوى الإستعمار على هياكل النظام الدولي وفرض فلسفة التقسيم الدولي للعمل الذي أشارت له النظرية من هذا المنطلق ترى الإشتراكية الجديدة في المنظور الماركسي أن التبعية هي أساس التخلف الناتج عن العلاقات غير المتكافئة بين الشمال والجنوب أي عدم اتاحة علاقات التعاون.

تحلل أيضاً الماركسية دور التنمية في التعاون في ظل نظام الإستعمار الجديد وذلك من خلال جعل التعاون أحد أن الوسائل الإستعمارية الهيمنة. مثل القروض وهو في الحقيقة (فخ الديون) و التبادل التجاري الذي ترى فيه تبادل غير متكافئ، الإستثمار الأجنبي هو تمكين للشركات المتعددة الجنسيات في الدول، هذا الأساس فالتعاون بالنسبة للماركسية هو في حقيقة الأمر أداة ووسيط للتمكين للإمبريالية.

وفي ذات الإطار وحتى لاتتهم النظرية الإشتراكية أو الماركسية كونها عاجزة عن تقديم تفسير لظاهرة التعاون الدولي فقد طرحت بدائل أخرى لطبيعة العلاقات السابقة مثل التعاون بين البلدان الإشتراكية، خيار (جنوب جنوب) أو (اشتراك جنوب) أو خيار جنوب جنوب بين الدول النامية و خيار الاستقلالية (الإعتماد على الذات) هذه الخيارات التي طرحت على أساس بدائل عن التبعية" وتكون على شاكلة "التعاون الدولي الإشتراكي" [1] وقد مثل هذا الطرح نظراً لفشل النموذج الإشتراكي بشكل عام.

إن النماذج الفلسفية المشار لها سابقاً تختلف عن بعضها البعض من حيث الإفتراضات المعيارية المتعلقة بطبيعة النظام الدولي كنظام إنتمائي

ومع ذلك بأن النظام الدولي في ديمومة مستمرة للتغير يجودنا باستمرار بظواهر جديدة تستدعي دائماً التفسير من جديد إما بإبتكار نظريات ونماذج جديدة أو إعادة تأهيل تلك الموجودة وهذا هو الحال الموجود خصوصاً أمام التراكم المذهل للظواهر الدولية.

1) ibid. p 37.

٥ - أن التعاون هو الطريق الأمثل لسيادة الإستقرار والسلام الدوليين

٤ - أن التعاون في المجال الإقتصادي يؤدي بالضرورة إلى التوافق السياسي والأمني.

٣ - أن التعاون الإقليمي يؤدي بالضرورة إلى التعميم على المستوى العالمي ليشمل دول أخرى ومجالات أخرى.

٢ - أن التعاون الدولي يبدأ بالمسائل والمشاكل الصغيرة للحدود (الأقرب) ثم يتعمم إلى مسائل أعمق (الأمن والدفاع والسياسة الخارجية) من خلال إعادة إنتاج التجربة نفسها ضمن آلية التوسع

البرادايم الماركسي والتعاون الدولي

من خلال هذا البرادايم نفهم العلاقات الدولية من خلال العلاقات الإجتماعية وذلك من خلال الصراع الطبقي وداخل المجتمع الواحد من خلال نظام التبعية بالنسبة للدول على المستوى العالمي بالإضافة إلى نظام السوق والتنمية غير المتوازنة بين الدول تنظر الماركسية للعلاقات الدولية على أنها علاقات أزمانية سواء كانت إجتماعية إقتصادية سياسية أيديولوجية فنشأتها في النظام الرأسمالي الليبرالي وبالتالي لحل كل هذه النقاصات والأزمات ينبغي التحول إلى النظام الإشتراكي ~~كما هو~~ (١)

من خلال ماسبق نفهم التعاون الدولي في إطار النظام الإشتراكي أي الماركسي نقيض ما ذهبت إليه النظريات السابقة التي تركز بالأساس على مبدأ الحصة والمساومة التي تتجاهل كثيرا مصالح بقية الدول الأقل قوة وبالتالي فالتعاون الدولي من خلال الحتمية الماركسية أو الإشتراكية يكون مبنيا على علاقات متساوية الذي يعكس بالأساس قوة العلاقات المتبادلة بين الدول التي تسعى إلى تحقيق مصالح الشعوب عامة. حين أن النظام الإشتراكي في العلاقات الدولية يشير إلى فكرة سيادة الشعب، وهو ما يعكس إلى حد بعيد تجاهل النظام الإشتراكي لدور العوامل السياسية والإستراتيجية في الدفع نحو التعاون الدولي (٢)

1) Political Theory of development. p 30
2) Ibid. p 30

المتبادلة بين الدول وذلك بالاعتماد على المبادئ الأخلاقية، والشرعية الدولية، والنظرات العالمية رغم إقرارها بقصورها لنظام الدولي. (المذكرة ص 58)

تشترط النيرالية (أو المؤسساتية الجديدة) شرطان أساسيان للقيام بالتعاون الدولي.

1- أن يكون بين الفاعلين من الدول وغير الدول مصالح متبادلة يمكن تحقيقها فقط من خلال التعاون

2- أن عمل مأسسة النظام الدولي ذا تأثير واضح وقوي على الدول

بالإضافة إلى ذلك ستشترط هذه المدرسة للقضاء على القلق والخداع والفوضى في العلاقات الدولية هي العوامل المعرقلة للتعاون الدولي ضرورة أن تعمل الوحدات الدولية على إيجاد مؤسسات وخلق أنظمة وقواعد التي من شأنها أن تزيد من فرص التعاون. خاصة وأن الأنظمة يدل على أن التعاون ممكن رغم القواعد التي لا تعيق التعاون وتجعله مستحيلا بل تجعل تحقيقه صعبا. وهو الأمر الذي يمكن أن يتحقق في وجود الأنظمة الملائمة لتفاعلات الوحدات الدولية. (المذكرة ص 8)

ترى النيرالية أيضا أن المؤسسات الدولية هي أدوات قادرة على إشاعة تعاون أكبر، حيث أن من بين أنها تساعد الدول للتغلب على مرتفعة الأنانية عن طريق تشجيع ترك المصالح الآنية لصالح فوائد أكبر من التعاون الدائم مثلما هو الحال في "عمل "وكالة الطاقة الذرية" "صندوق النقد الدولي"

بالنسبة للوظيفية - وهي أبرز تيارات النيرالية الجديدة - ترى التعاون الدولي يكون أكثر تكرسا في المجالات الدولية من منطلق أن الوسائل التقنية الحديثة والتطور الإقتصادي والمشاكل الاجتماعية والبيئية على المستوى الإقليمي والدولي تشكل أكثر الأسباب الدائمة للتعاون الدولي وأن ظهور المنظمات الدولية هو في الحقيقة تلبية لرغبة الرأي العام العالمي ككل أنها أي الوظيفية ترى بأن هذه المنظمات هي التي تشهد بإنجاز التقارب بين الدول والشعوب وكل هذا سيسهل من عملية بناء السلام

ما يمكن الإشارة إليه حول المنطلقات الرئيسية للوظيفية فيما يخص نظرتها إلى التعاون فيما يلي :